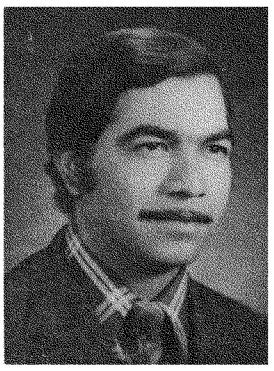

موسى كريدي

الآداب

مسيرة ربع قرن

كان مجرد حلم ولد على مقاعد الدراسة ثم ما لبث ان نما ،وتكامل حتى دخل طور الفعل والممارسة .. هكذا كان لمشروع مجلة ـ الآداب ـ ان يظهر منذ ربع قرن ، مجرد حلم اخضر لم يعرف صاحبه الدكتور سهيل ادريس هل بوسع هذا الحلم أن يستمر في أضاءته ام ينطفىء كالومضة العابرة .. حين عاد الرجل من باريس الى وطنه، حاول أن يحفظ لحلمه نداوته ونقاءه ، فاتصل بالاصدقاء من الادباء والمفكرين ودور النشر .. وسمع الرجل لاول مرة ايقاع خفقته الاولى ينبض، ويدق بخفر الابواب المغلقة .. انبثق العدد الاول من ـ الآداب ـ تحقق الحلم .. ثم مر الزمن ، وتعاقبت الاحداث ، وجد الجديد فلم يعد الرجل يحلم ، بل انه وجد نفسه ، فجأة ، يمضي في الطريق ، يقبض على النار ، لكن ، بثقة كان الرجل ينتظر بصبر المحبين .. كان يريد لوليده ان يستمر في النمو والعطاء . وان يراه يسير على قدمين ثابتتين .

وكان له ما اراد . غير انه لم يكن يدري ما الذي ينتظره في الدرب وهو في زحمة العمل والحركة والاتصال بالاخرين ، ولم يكن يدري اية صعوبات ، واية تحديات، واية معاناة سيعانيها خلال مسيرة خمسة وعشرين عاما.

ان اي مطلع او دارس او متصفح للمجلدات الخمسة والعشرين من الآداب ، سيجد ، دون شك ، انها قد لعبت دورا كبيرا في حياتنا الادبية والثقافية ، واسهمت اسهاما فعالا في تقديم المواهب الادبية الشابة ، التي اصبحت فيما بعد مواهب كبيرة لها جمهورها القارىء ولها تأثيرها وحجمها الابداعي في تاريخ الثقافة العربية المعاصرة . لقد اصبحت ـ الآداب ـ خلال السنوات الاولى من عمرها منبرا حرا للاقلام العربية ، ومنجما واسعا للاصوات المتميزة ، واستمرت تلعب هذا الدور بخطى اوسع لم تتعثر الا في اوقات المحن والشدائد التي مرت بها الامة العربية .

ولعل هذا الدور يتضح اكثر حين نلمس عن قرب موقف ـ الآداب ـ من قضية حرية الفكر العربي ، ومدى صلتها بالنشاط الانساني والحضاري للمجتمع العربي ، والدفاع عنها بوصفها ارقى اشكال الوعي وأحد مقومات النهوض والتطور الحضاري ، اذ بدونها لا يمكن أن ترسى تقاليد للادب والفن والابتكار ، ولا ان ينشأ جيل قادر على التفكير والتمييز ،ولا ان يزدهر الفكر او يغتني او يتفاعل ليصبح قوة مؤثرة وفاعلة في البناء ، والتغيير وهذا يعني أن حرية الفكر لا يمكن ان تجد متنفسها في جو من الاضطهاد والحجر واللاحرية . ولهذا نستطيع ان نقول ان الآداب بتبنيها لقضية الحرية الفكرية وتحريض المفكرين والمثقفين العرب وحتى العالميين لحمايتها ،والدعوة للقتال من اجلها ، كانت تنطلق من موقف حضاري يؤكد حرصها الدائم ، ويجلي اهدافها المبدئية التي نشأت عليها ، وقطعت بذلك اشواطا وهي تقدس حرية الكلمة، وتذود عنها حتى لو ادى ذلك الى تعرضها للمنع والمصادرة . وقد حدث هذا أكثر من مرة وكان هذا يمنحها ثقة كل بناة الحرف الشريف ، والكلمة المبدعة ، وكل القراء ، ويعطيها حضورا استثنائيا في المجال الثقافي والسياسي .

اما على الصعيد الادبي فقد تبنت ـ الاداب ـ تبنيا كاملا ، قضية الادب الجديد ، ودافعت عن هذه القضية حتى آخر الشوط ، وهيأت كل امكاناتها في سبيل ذلك حيث استطاعت ان تكشف عن غنى هذا الادب وخصائصه، وتأثيره ، ومدى استجابته لروح العصر وما يمكن ان يحمل من رؤية معاصرة ، وحس واقعي ينتمي الى روح التغيير والتجديد والمعاناة ، وما يمكن ان تشكل روافده من معالم بارزة في تاريخ الابداع العربي الحديث في النصف الثاني من هذا القرن ، وما يمكن أن يرهص به من دلالات غير معلنة ، ومواهب ستكون في المستقبل ذات حضور وتاريخ واصالة .

ولعل الاداب كانت أشد اخلاصا واكثر وفاء لقضية الشعر الجديد ، فقد بذلت جهدها في تقديم رواده الاول ، وابراز نماذجه الممتازة . وكلنا يذكر الاسماء التي ظهرت على صفحاتها ، السياب ونازك والبياتي وبلند الحيدري وحاوي وصلاح عبدالصبور الى نزار قباني وحجازي ودرويش وسعدي يوسف . ولم تكن المجلة تكتفي بالنماذج بل كانت معنية بتقديم الدراسات الخاصة بطبيعة

ومنابع حركة الشعر الجديد ، وتجارب الشعراء ،والاعداد الخاصة بها . كما ان المجلة لم تتوان عن نشر كل ما يردها بخصوصه من مناقشات ومماحكات ووجهات نظر متعددة بغية الوقوف على حقيقة هذا اللون الادبي الذي بات يحتل حيزا كبيرا في مجمل النشاط الابداعي العربي، وليس هذا وحده بكاف لتطمين طموح المجلة ، بل انها ذهبت الى ابعد من ذلك ، الى المساهمة الجدية والفعالة في تطوير القصيدة العربية الحديثة ، والسعي الى ايجاد مناخ أفضل لنموها وازدهارها والى ايجاد ما يجعلها لونا ادبيا ذا كيان مستقل وشخصية ادبية لها خصوصيتها وتأثيرها ، وابعادها التاريخية والسياسية .

ولئن كان التزام ــ الآداب ــ منذ ولادتها ، بقضية الادب الجديد التزاما منسجما مع خطها العام ، وبرنامجها الادبي ، فان التزامها بقضايا الشعب العربي المصيرية لم يكن اقل شأنا من التزامها لقضية الادب في كل الاحوال . فلقد اولت المجلة ، القضية الفلسطينية اهتماما خاصا استثنائيا يظهر في العديد من مواقفها وافتتاحياتها اضافة الى ما تنشره بشأنها من بيانات ووثائق ودراسات عميقة، ومن نتاج ابداعي متميز. ونستطيع ان نقول ان ــ فلسطين ــ لم تغب ابدا عن ايما عدد من اعدادها بل انها كانت المحور والقضية المركزية فكرا وابداعا .

ولم يكن هذا الموقف من لدن المجلة مما تمليه الظروف التاريخية والموضوعية ، فحسب ، بل يأتي استجابة طبيعية للموقف القومي الذي اتسمت به الآداب منذ البداية ،بل منذ ان كانت حلما . فقد وضعت في اعتبارها مسائل كثيرة كان لا بد من تبنيها ، والخوض فيها . لعل في مقدمتها ــ فلسطين ــ الوحدة العربية ، ثم قضايا التحرر العربي وحركة الثورة العربية . ومن الممكن القول ان الآداب قد تابعت بعين الحرص مسيرة حركة الثورة العربية ومدى صلتها بحركات التحرر وآفاق تطورها، ومستقبلها ومدى صلتها بحركة الادب والمجتمع وكرست لهذا الامر الصفحات والدراسات والمناقشات بل واصدرت لهذا الغرض كتبا واعدادا خاصة ، وملفات كثيرة تناولت فيما تناولت معظم النشاط الادبي والفكري بحيث استطاعت ان تبرز مظاهره الحضارية ، وقيمه الجمالية في العديد من الندوات والمهرجانات الثقافية التي تقام في هذه العاصمة العربية او تلك .

اما قضية ــ لبنان ــ التي لا يمكن ان تنفصل ابدا عن قضايا امتنا العربية فقد حاربت الآداب مخطط تقسيم لبنان ، وهاجمت دعاته والسائرين في ركابه ايمانا منها بدور لبنان العربي في الاشعاع والتغيير ، وحرصا على تآلفه ووحدة ترابه. فقد استنكرت الآداب بعنف المحاولات التخريبية والطائفية وكل نزعات التقسيم والاستغلال وما تنطوي عليه من احقاد واثارات لا تهدف في النهاية سوى خدمة المصالح الامبريالية والصهيونية والرجعية في المنطقة العربية .

لقد استطاعت الاداب خلال ربع قرن من عمرها ان تمدنا بزاد ادبي ثر اضاء وجداننا ، وعمق احساسنا ،وفتح امامنا افاقا واسعة من المعرفة ، ومد بيننا ، وبينها جسورا من الحوار،واواصر من الالفة لا يمكن ان تنقطع .

ان تاريخ هذه المجلة التي قطعت هذا العمر ،يشير الى صمودها بوجه الصعوبات المالية والرقابية وبوجه التحديات الاخرى . سنلحظ ان مسؤوليتها الادبية والتاريخية ، تزداد بمرور الزمن ، وتكتسب اهميتها من معاناة صاحبها ومن تعامله النظيف مع حركة الابداع .

ان عشرات من المجلات الادبية ظهرت في هذه الحقبة ولكنها سرعان ما انطفأت ، وتوارت عن الانظار. ربما ، لانها لم تجد المشجع او المناخ المساعد ، او المال الكافي او ان الدافع لصدورها لم يكن واضحا ، ربما كانت قد صدرت بدافع نزعة عابرة او رغبة آنية لم تستطع هذه الرغبة ان تحقق ارادتها حين دخلت طور التجربة والفعل . ان مجلة « الآداب » لم تكن كذلك فالدوافع التي تكمن وراء صدورها مختلفة ، وارادة الاستمرار والصمود كانت خلف خطاها .

اما الحديث عن مادة الآداب فينبغي الا نلقي اللوم على منشئها ومؤسسها الدكتور سهيل ادريس . فالمجلة منذ بواكيرها الاولى كانت وما تزال تجهد في ان تقدم المادة الادبية المستوفية لشرط الفن وعناصره ورؤاه ولم يكن رائدها ان تقدم النتاج الضعيف والمادة السهلة ،والمحاولة غير الناضجة ، بل انها تستمد طاقتها ومادتها وحيويتها من حيوية اقلام كتابها وقرائها الكثار . فشرط الجودة والاصالة رهين بحركة الابداع الادبي في عموم الوطن العربي وما ترهص به من محاولات نوعية ومحاولات تجديدية جديرة . ولئن قرأنا بعض النتاج دون المستوى مما ظهر على صفحاتها لا سيما في سنواتها الاخيرة فان مرد ذلك راجع الى ان عددا من كتابها الذين ظهرت اسماؤهم على صفحاتها بدأوا النشر في مجلات تمنح كتابها بعض المكافآت ، كما ينبغي الا ننسى ان بعض المجلات ــ لا سيما ــ مجلات وزارات الثقافة والاعلام تفوق الآداب شكلا وتكاليف ولكنها لا تفوقها مادة ونتاجا .

واخيرا فلا بد من التنويه بان للآداب ولدارها في النشر الفضل الاكبر في تعريف جيلنا العربي الجديد بما يجد من افكار الغرب وتيارات الاداب الاجنبية وتقديم اهم منجزاتها الابداعية على صعيد الادب والفكر اضافة الى ما تقدمه من نتاج ابداعي لادبائنا العرب ومفكرينا بشكل كتب لا يمكن نكران اهميتها بالنسبة لتاريخ ادبنا العربي المعاصر .

تحية للقلم الحر الذي تبنته الآداب .

تحية لكل المساهمين فيها .

الف تحية لمؤسسها الدكتور سهيل ادريس .

بغداد